

التعامل مع خيانة الأصدقاء

إن من أكثر الأمور تسبباً في شعور الإنسان بالألم هي خيانة الأصدقاء. لكن على الرغم من إمكانية تعرض كل إنسان لخيانة صديق، لا يجوز لإنسان أن يلجأ إلى الانتقام، ويقوم بالحق الأذى بالصديق الذي خان الصداقة. كما أن على الضحية أن لا يلجأ إلى لوم نفسه واقناعها بأنه كان مسئولاً مستولياً مباشرة أو غير مباشرة عما وقع له من خيانة وما يشعر به من ألم، بل عليه أن يعترف بما حدث ويتعامل معه بأمانة وعقلانية تعود عليه وعلى الصديق القديم براحة البال والضمير.

إن على الضحية أن يتعامل مع خائن الصداقة من في ضوء ما قام به ذلك الصديق من أعمال وما كشفه من دواخل نفسه التي لا تقدر الصداقة ولا تفهم معنى الوفاء. وهذا يعني أن على الضحية أن تنظر إلى خائن الصداقة بوصفه إنسان سيء، يحسن الإساءة للمقربين منه والمخلصين له، وبالتالي ليس أهلاً للصداقة ولا يستحق الاحترام. إن الناس السيئين دأبوا على الإساءة للغير على مدى التاريخ، وإنهم كانوا في معظم الحالات والأحيان يختارون الأقرب من الناس إليهم ليخدعوهم ويستغلوهم ويلحقوا الأذى بهم دون مبرر.

تعرضت قبل وقت قريب لعملية خداع من قبل شخص كان في منزلة الأخ بالنسبة لي، وكنت أعتبره صديقاً عزيزاً ورجلاً وقيماً. الشخص المعني هو رجل ثري ومقاوول كبير، اتفقت معه على شراء شقة في عمارة بناها، دفعت له نصف الثمن، ووقعنا اتفاقية صاغاها بنفسه، ومن ثم سكنا في العمارة كصديقين وجارين. لكن الصديق، وبعد مرور حوالي السنتين على إقامتي في الشقة طلب مني الخروج منها بحجة أنه ينوي أن يوزع شقق العمارة على أبنائه. لم أرفض طلبه من حيث المبدأ، إذ قلت له "إذا كان خروجي من الشقة سيكون مصدر سعادة لك ولعائلتك فإنني أكون أيضاً سعيداً". لكنني طلبت منه إمهالي بضعة شهور حتى أجد مكاناً بديلاً يناسبني، خاصة وأنه لم يكن في حاجة لتلك الشقة لسنوات. لكنني فوجئت بقيامه برفع دعوى قضائية ضدي يطالبني فيها بإخلاء الشقة فوراً. وبعد استشارة قانونية توصلت إلى نتيجة أن القانون الذي كتب لتمكين الأثرياء من الاحتيال على الفقراء والضعفاء ومصادرة حقوقهم، كان في جانبه.

ينص القانون على أنه في حال وقوع خلاف حول عقار ما قبل قيام البائع بالتنازل والشاري بالشراء وتسجيل المعاملة لدى دائرة الأراضي، فإن الأمور تعود لما كانت عليه قبل الاتفاق. وعلى الرغم من أنني لم أكن أعرف هذا النص، إلا أنني طالبت الصديق المعني مراراً بفرز الشقق ليكون بالإمكان نقل ملكيتها لي، إلا أنه امتنع عن ذلك لعدم استعداده لدفع تكاليف الفرز حسب القانون. وهكذا استخدم الصديق القانون

الجائر لينكت بوعده، ويتخلى عن توقيعه، ويدوس فوق كلمته، ويخون ما كان بيننا من صداقة حميمة. وحين طالبته من خلال وسطاء بتعويضي عن خسارة الأثاث الذي بيع بثلاث الثمن أو بدفع جزء من زيادة ثمن الشقة التي تضاعف سعرها خلال فترة ملكيتي لها، رفض رفضاً باتاً.

لقد كان بإمكانني طبعاً أن أقاضيه وأن أحرمه من استخدام الشقة لمدة لا تقل عن ثلاث سنوات بينما تنظر المحاكم بالقضية، إلا أنني قررت عدم القيام بذلك. إن الدخول في معركة قضائية كان سيشغلني فترة طويلة من شأنها أن تسرقني من الأشياء التي أعشقها: القراءة والكتابة والسفر وإلقاء المحاضرات في جامعات حول العالم، ومساعدة طلبتي القدامى. كما أن من شأن الانشغال في قضايا ومحاكم يستمرؤ رجالها الظلم أكثر من العدل، كان سيجبرني على التفكير سلباً بدلاً من التفكير إيجاباً. لهذا سلمته الشقة ونسيتها تماماً، نسيت ما فعله واعتبرته حادثة عابرة في حياتي علمتني درساً ومضت إلى غير رجعة... حادثة كان لا بد من تجاوزها كي أعود إلى ممارسة ما أحب وما يعود علي بالسعادة والرضا عن النفس.

إن من يفكر بطريقة سلبية ليس باستطاعته أن يفكر بطريقة ايجابية، وحيث إن التفكير الايجابي هو عملية خلق وإبداع، والتفكير السلبي هو عملية هدم وإضاعة للوقت، كان لا بد من تجاوز المشكلة ونسيانها والتعامل معها ومع من تسبب بها كحادثة عرضية وصدفة لم يكن بإمكانني السيطرة عليها. إن من يفكر سلباً يقوم في الواقع بإزاء نفسه أكثر من إيذاء الأشخاص الذين يعتبرهم خصوم أو منافسين، لأنه يضيع وقته في صراع عبثي، حتى وإن ربحه، لن يعود عليه بالنفع.

بعض الأصدقاء لاموني على ما حدث، لأنني وثقت بذلك الصديق واعتقدت أنه سيحترم كلمته وتوقيعه وسيفي بالتزاماته الأخلاقية والتعاقدية. كان من الممكن أيضاً أن ألوم نفسي للأسباب ذاتها، لكني لم أفعل ذلك. إن الثقة بالآخرين، خاصة من يعتبرهم الإنسان أصدقاء، هي خصلة حميدة، وليست خطيئة، ولكن خيانة الصداقة والأصدقاء هي خطيئة كبرى تقترب من مرتبة الجريمة. وكما يقول مثل إيرلندي قديم: "إذا خدعني صديقي، فإن ذلك عيب عليه، لكنه إذا خدعني للمرة الثانية، فإن ذلك يكون عيب علي." لذا العيب عليه وسيكون عيب علي إذا تعاملت معه ثانية، أو احترمته، أو وثقت به بعد أن خانني بدافع الجشع والمال.